حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثاني . شهر رمضان ١٤٣٣هـ / آب . ٢٠١٢م

٢

مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام سنة ١٩٣٥م

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

شعراء الكوفة في ميزان النقد العربي القديم
السيد الحميري(ت١٧٣هـ) أنموذجاً

الأستاذ الدكتور حسين لفته حافظ

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن والاه إلى يوم الدين.

المقدمة:

تهتم الأمم عادة بتراثها الفكري والثقافي، وخصوصا عندما يكون هذا التراث غنيا، إذ إننا نستلهم عادة العبر والدروس من هذا التراث فما بالك بتراث الأمة العربية وهو تراث خصب لا يختلف عليه اثنان، فكلما أمعنا النظر فيه وجدنا أشياء جديدة وموضوع بحثنا هو موضوع قديم وجديد، قديم من حيث المادة موضوع الدراسة وجديد من حيث طريقة التناول وعرض المادة وتحليلها بالاستفادة من الآراء النقدية التي توصل إليها النقاد المحدثون، أما عن دوافع اختيار هذا الموضوع فتتمثل بكون الموضوع لم يجد عناية من الدارسين السابقين، خاصة وان شعراء اقل مرتبة من السيد الحميري قد تمت دراستهم وفق معايير النقد القديم، فضلا عن كون هذا الشاعر ظلم في القديم وحورب بسبب ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وبعد التنقيب عن المادة في المضان القديمة تكونت لدي مادة، اقتضت طبيعة هذه المادة ان تكون على شكل مباحث، فكان المبحث الأول الغرض الشعري، أما المبحث الثاني فجاء الحديث فيه عن قضية الطبع والصنعة، أما المبحث الثالث فقد تحدث عن الابتكار والتجديد، وأخيرا جاء المبحث الرابع ليشتمل على قضايا متفرقة، تتعلق بالمستوى اللغوي في شعر السيد الحميري، أما عن منهج البحث فقد كان منهجا تاريخيا فضلا عن المنهج التحليلي الذي استفدت منه في الكشف عن الراى النقدي الصادر بحق السيد الحميري سواء كان هذا الراي صادراً من ناقد مختص أو شاعر أو ممدوح ام علماء آخرين، وأخيرا اضرع إلى الله أن يسدد الخطى، ويهيئ الخير، ويهدي إلى الصراط المستقيم.

المبحث الأول: الغرض الشعري:

ذكرت المعاجم العربية معاني متعددة لكلمة (الغرض)، وقد أشارت المعاجم العربية إلى تنوع دلالة مادة (غ ر ض) وتشعب معاني صيغها المختلفة فـ «الغرض: حزام الرّحل...وأغرضت البعير: شددت عليه الغرض...وغرض الشيء يغرضه غرضا: كسره كسرا لم يبن، وانغرض الغصن: تثنى وانكسر انكسارا غير بائن، والغريض: الطري من اللحم والماء واللبن والتمر...والغريض أيضا، كل غناء محدث طري، ومنه سمي المغني الغريض لأنه أتى بغناء محدث»[١]

ومن الباحثين من يرى ان صيغة (الغريض) دخلت ميدان الفن والغناء لان الغريض كل غناء محدث طريّ، ومنه سمي المغني الغريض لأنه أتى بغناء محدث[٢].

والغرض الهدف يرمى فيه وهو ما امتثلته للرمي، أيا كانت طبيعة هذا الهدف ومنه قولهم: الناس أغراض المنية وجعله فلان غرضا لشتمه[٣].

ثم اتسع المعنى فصار يعني القصد والبغية عامة[٤].

ومن الباحثين من يرى ان اللفظة قد تحركت بعد ذلك بخطوات أوسع نحو المجال الاصطلاحي، فإذا هي في مباحث نقادنا القدامى دالة على الموضوعات الشعرية الرئيسة، المديح والهجاء والفخر والغزل والرثاء...الخ[٥]

ويبدو إن الغرض دالا على الموضوعات الشعرية ذو صلة بالهدف من الشعر او الغاية التي يتوخاها او النتيجة التي يتطلع إليها.

(١) لسان العرب: ٩٧٧/٢، ٩٧٨.

(٢) الغرض الشعر دراسة نقدية: ٧.

(٣) ظ: تاج العروس: ٤٥١/١٨.

(٤) م.ن: ٤٥٨/١٨.

(٥) ظ: الغرض الشعري دراسة نقدية: ٩.

وقد وردت لفظة الغرض عند النقاد القدامى أمثال قدامة بن جعفر في قوله «اجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعر... المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه»[١].

وعند الرماني أيضا في قوله «أكثر ما تجري عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف»[٢]

ومن الباحثين من لاحظ ان مصطلح (الغرض الشعري) كان له حضوره وكتبت له السيرورة والذيوع حتى يومنا هذا واتسع مدى استعماله وسحب إلى خارج ميدان الشعر كذلك وصار يعني كل «ما يرمي إليه المؤلف من تأليفه الأثر الأدبي، ممتزجا مع مفهومات أخرى تتعلق بمقاصد المؤلف ورسالته العامة والخاصة وغايات النص ودلالته القريبة»[٣].

أما عن موقف النقاد القدامى من قضية الغرض الشعري عند السيد الحميري فقد أشار النقاد إلى الأغراض الآتية:

١- غرض المديح:

يعد هذا الغرض من ابرز أغراض الشعر العربي وكان للتكسب بالشعر اثر في مكانة المدح والمادح عند عرب الجاهلية ويرى ابن رشيق ان الشاعر كان ارفع منزلة من الخطيب عند العرب الا ان التكسب بالشعر جعله اقل مكانة من الخطيب[٤].

كما ان بعض النقاد كان يرى من مفاخر الشاعر الا يقول الشعر رغبة في عطاء، ولا رهبة من عقاب كما فضل بذلك امرؤ القيس[٥].

إلا ان هذا القول لا ينطبق على مديح السيد الحميري وهو القائل: (من الكامل)

ولقد عَجبتُ لقائلٍ لي مرّةً
عَلاّمةٌ فَهْمٌ من العلماء
سمَّاك اهلك سيّداً لم يكذبوا
ان الموفقُ سيدُ الشعراء
ما أنت حين تَخصُّ آل محمد
بالمدحِ منك وشاعرٌ بِسواء
مدَح الملوك ذوي الندى لعطائهمْ
والمدحُ منك لهم لغيرِ عطاءِ[٦]

ان ابرز ما نلاحظه في هذه الأبيات المديح الصادق الذي لا يقال حبا في المال، ويرتفع به الشاعر على الشعراء ان استعمال مفردات الحياة اليومية، والاقتراب من لغة المخاطبين أدى الى تكوين معجم شعري مميز لدى السيد يعتمد الإشادة بفضائل أهل البيت، وقد رأى الدكتور المطلبي أن ما يراد في الصدق هنا هو ما نسميه اليوم بالواقعية «الحرفية» التي تجزئ الموضوع فتخطئ الصدق «الكلي» أو ما يرمز إليه في عمومه[٧].

ومن خلال تتبع ابرز الأغراض النقدية التي قيلت بحق السيد الحميري والمتعلقة بغرض المديح وهو ابرز الأغراض الشعرية الموجودة عنده، اذ كان اغلب مديحه يندرج تحت إطار الأدب الملتزم، وقد أورد صاحب كتاب الأغاني عن أبي عمرو الشيباني، عن لبطة بن الفرزدق، انه قال:

تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال ان هاهنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء، فسألناه من هما ؟ فقال: «السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه»[٨]

ويمكن ان نلاحظ ان هذا الرأي يكشف عن وجود عنصر جمالي في معياره «الاعتقادي » لان الشاعرين مجيدان في البناء الفني وفي سلامة التعبير وقوته وقد دلل ذلك على ان الشاعر كان يضفي صفات المديح التي يراعي فيها منزلة ممدوحه الاجتماعية التي عكستها مكانته الثقافية كونها عاملا مؤثرا في استجابة تلقي المديح فكشف عنها الشاعر المتذوق بفضل مكانته الثقافية أيضا على أنها من عوامل التأثير في الاستجابة والتلقي.

وقد ساهم الشعراء النقاد في إبداء الرأي حول مديح السيد الحميري ومن هولاء الشعراء اذكر بشار بن برد فقد كانت له وجهة نظر في شعر السيد فقد جاء في أخبار السيد الحميري ان بشارا قال للسيد الحميري «لولا أن الله شغلك بأهل بيت نبيه عليهم السلام لافتقرنا»[٩].

إذن كانت هنا صلة قويه بين مديح السيد الحميري لأهل بيت نبيه عليهم السلام أجمعين وهذه المسالة لها علاقة بالدين والأخلاق اذ ان «الدين يخلق موضوعات جديدة وهو يؤثر في الأخلاق تأثيرا يتردد صداه في نواحي الأدب فكان الشعر الديني مبدأ كل عمل فني في كل امة»[١٠].

لقد كان موضوع مديح السيد يصب في بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام ولا شك في ان للموضوع أهميته من حيث

(١) نقد الشعر: ٩١.
(٢) العمدة: ١٢٠/١.
(٣) الغرض الشعري: ١١، وينظر المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ١٤٧.
(٤) العمدة: ٥٠/١.
(٥) م.ن: : ٥٨/١، وينظر: أسس النقد الأدبي: ١٧٩.
(٦) أمالي القالي: ٥٨/٢-٥٩.والأبيات في الديوان: ١٧.
(٧) ظ: الشعراء نقادا: ٣٧.
(٨)الأغاني: ٢٣١/٧.
(٩)خبار السيد ألحميري: ٢١، ولسان الميزان: ٤٣٧/١، والبداية والنهاية: ١٧٤/١، والأغاني: ٢٣٧/٧.
(١٠) ظ: في أصول الأدب: ٢٢.

تاثيره في تشكيل الأسلوب، فالأساليب تتنوع بتنوع المواضيع التي تتناولها تبعا للقول المأثور «لكل مقام مقال»[١].

وقد جسد هذه الفكرة التوزي عندما أبدى رأيه في شعر السيد الحميري فقد أورد المرزباني انه قرئ على التوزي شعر عمران بن حطان فقال من ينشدنا شعرا صافيا من مدح السيد فانشده رجل ممن حضره: (من الخفيف)

إنّ يومَ التطهيرِ يومٌ عظيمٌ
فاز بالفضل فيه أهلُ الكساءِ

وقصيدته المذهبة التي أولها: (من الكامل)

هلاّ وقفت على المكانِ المعشبِ[٢]

فقال التوزي:

«لو ان شعرا يستحق ان لا ينشد الا في المساجد لحسنه لكان هذا، ولو خطب به خاطب على المنبر في يوم جمعه لاتى حسنا ولحاز اجرا»[٣].

ان المتأمل في لغة السيد يجد انها مالت الى الصدق وابتعدت عن المبالغة المسرفة حتى نجدها جسدت نموذجا فريدا لشخصية الممدوح الإسلامي الذي يمثل روح الأمة في قيمها ومبادئها النبيلة وهو بهذا يعكس التزاما خلقيا ونموذجا يحتذى.

اما صاحب كتاب (نصرة الثائر) فقد رأى أن يقدم السيد الحميري في بعض مدائحه وخاصة مديحه لأهل البيت عليهم السلام فقد أورد قول السيد:

اقسم بالله وآياته
والمرءُ عما قال مَسؤولُ

أنّ عليَّ بن ابي طالبٍ
على الهدى والبِرِّ مجبولُ

على أنها من الشعر المستحسن الجيد[٤].

من الملاحظ ان الأبيات تمتاز بالبساطة ووضوح المعنى وربما يعود إعجاب الناقد بهذه الأبيات كونها من السهل الممتنع، فليس كل شاعر يستطيع أن يجاري السيد في طريقته المعروفة في المديح، لان له أسلوبه الخاص فهو يتناول الأفكار البسيطة ليخلق منها عالما شعريا فيه من الصور الطريفة الشيء الكثير.

ومن الجدير بالذكر ان السيد الحميري أكثر من مديح الإمام علي عليه السلام والأئمة من ولده، والإشادة بفضائلهم الجمة وقرابتهم لرسول الله وورعهم وحرصهم في الحفاظ على الإسلام ومصالح المسلمين[٥].

وقد التفت الجاحظ إلى هذه القضية، عندما أشار الى تاكيد السيد الحميري على ان الإمامة نص من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إلى الإمام علي (عليه السلام) ، فضلا عن تاكيده على أخوة الإمام على للرسول الأكرم وقرابته منه اذ قال:

وقال السيد الحميري:

إني امرؤ غير مؤ تشب جدي
رعين وأخوالي ذو ويزن

ثم الولاء الذي أرجو النجاة به
يوم القيامة للهادي أبي الحسن[٦]

نلاحظ ان السيد هنا يخلط المديح بالفخر وربما يعود السبب وراء ذلك الى إعجاب السيد الشديد بنفسه واعتزازه بشعره، خصوصا وانه عاش في عصر ازدهر فيه مثل هذا النوع من الشعر، وهذا الاتجاه في الشعر شاع في القرن الثاني للهجرة اذ كان الشاعر يعبر عن الذات من خلال العكوف عليها الا ان الغالب على شعر السيد انه كان يجري على السنن التقليدي في الشعر.

٢- غرض الهجاء:

يرى النقاد العرب ان الهجاء فن من الفنون الشعرية، وان له رجاله الذين يجيدونه ويتقنونه، وليس بلازم ان يستطيع الإجادة فيه كل من يجيد المدح، ولهذا لم يقبلو قول العجاج عندما قيل له: انك لا تحسن الهجاء فقال: ان لنا أحلاما تمنعنا من ان نظلم، وهل رأيت بانيا لا يحسن أن يهدم، وعلق ابن قتيبة على هذا الحديث بقوله: وليس هذا كما ذكره العجاج، ولا للمثل الذي ضربه بشكل لان المديح بناء، والهجاء بناء، وليس كل بان لضرب بصيرا بغيره[٧].

لقد لاحظ النقاد ان الهجاء غرض له منهج غير ذلك، وخطة في النسج مخالفة، والشعراء يختلفون في الطباع، منهم من يسهل عليه المديح، ويتعذر عليه الهجاء[٨].

ويرى قدامة بن جعفر ان الهجاء ضد المدح، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الاهاجي فيها وكثرتها[٩].

---

(١)ي الأسلوب الأدبي: ٦١.

(٢) الأبيات في الديوان: ١٨، ٣٤ مع اختلاف في الرواية.

(٣) ظ: المستدرك على أخبار السيد ألحميري: ٥٦، واعيان الشيعة: ١٣٣/١٢.

(٤) نصرة الثائر: ٣٤/١.

(٥) لغرض الإطلاع على المزيد ينظر: الغدير: ٢٢٧/٢ وما بعدها.

(٦) البيان والتبيين: ٣٦٠/٣، والأبيات في الديوان: ١٧٣.

(٧) الشعر والشعراء: ١٤/١.

(٨) ظ: أسس النقد الأدبي: ٢٤٩.

(٩) ظ: نقد الشعر: ٣٠.

وعن موقف النقاد القدامى من غرض الهجاء عند السيد فيطالعنا رأي للجاحظ يرى فيه أن الحميري قد ابتعد وأغلظ كثيرا في هجائه وذلك حينما شبه عائشة بالهرة التي تريد ان تاكل أولادها، وذلك في إشارة منه الى قول السيد الحميري:

جاءت مع الاشقين في هودج
تزجي الى البصرة أجنادها
كانها في فعلها هرة
تريد ان تاكل اولادها[1]

وقد علق عليه الجاحظ في قوله: «قالوا: والهرة تاكل أولادها، فكفاك بهذه الخصلة لؤما وشرها وعقوقا وغلظ قلب،... ولبئس ما قال في أم المؤمنين وبنت الصديق وقد كان قادرا على ان يوقر علياً رضي الله عنه فضله من غير أن يشتم الحواريين، وأمهات المؤمنين»[2].

ويبدو ان الذي أثار غضب الجاحظ هو الصورة الفنية القاسية التي رسمها الشاعر حينما شبه عائشة بالهرة التي تريد ا تاكل أولادها ولاشك ان الصورة مؤلمة وبشعة وتنبئ عن مرارة الموقف، الا أن هذه الصورة نابعة من أحداث واقعة الجمل وقد نجح السيد في تصوير وتجسيد شدة الموقف على نفوس المؤمنين نتيجة جسامة وخطورة الأحداث التي وقعت آنذاك اذ راح ضحية هذه الفتنة جمع من المؤمنين، لهذا أراد السيد ان يؤثر في نفوس متلقيه من خلال هذا التصوير.

فضلا عن هذا أشار الجاحظ في مواضع من كتابه الحيوان إلى هجاء السيد ومن صور هذا الهجاء أورد الجاحظ ما دار في مجلس أبي عبيدة وقد انشده ابن دامة قول السيد: (من الكامل)

أترى صهاكاً وابنَها وابنَ ابنها
وأبا قُحافة آكل الذُّبَّانِ
كانوا يرون وفي الأمور عجائب
يأتي بهنَّ تصرُّف الأزمانِ
إن الخلافة في ذؤابة هاشمٍ
فيهم تصيرُ وهيبةُ السلطانِ[3]

يقول الجاحظ معلقا: «وكان ابن دامة رافضيا وكان ابو عبيدة خارجيا ضفريا»[4]

المقصود سكوت ابن دامة على هجاء السيد لأنه يتفق وتوجهاته واعتقاده بولاية أهل البيت عليهم السلام.

ان أغلبية النقاد يرون ان أفضل الهجاء ما ينطبق عليه قول عمر بن العلاء «تنشده العذراء في خدرها ولا يقبح بمثلها»[5].

وهو نفسه الذي وصفه خلف الأحمر بالعفة في اللفظ والصدق في المعنى ويبدو ان الجاحظ يريد من غرض الهجاء الاعتدال ومراعاة المقصد والمخاطب وموضوع القول.

فضلا عن هذا أورد الجاحظ أبياتا من الشعر ذكر أن السيد قالها في هجاء أبي بكر وعمر وعبد الله بن عمر وغيرهم من الصحابة والأبيات هي:

فبعدا وسحقا لتلك الوجوه
للجبت والعِدلِ والابرشِ
(عتيق) وصاحبه الظالمين
وعِجلهما ذلك الأرقش
فيا نفس حتى متى تليطي
ن على الخائن الأول المرتشى[6]

لاشك في أن تاثر الجاحظ بهذه الأبيات يرجع إلى الصورة الشعرية وتاثيرها الكلي ويقودنا هذا إلى الكشف عن الاهتمام بالتاثير والانطباع الذي يتركه الشعر في النفس والاستجابة المباشرة من المتلقي، فقد وجد الجاحظ ان هجاء السيد امتاز بالصراحه المباشرة دون اللجوء إلي أسلوب الإيماء أو التعمية خاصة وان الهجاء يمس شخص الخليفة حتى ان الجاحظ قال في موضع آخر «اما العلماء فلم يقل احد منهم ان ابا بكر كان ابرش وكذلك عمر ولا قال احد منهم ان عبد الله بن عمر كان ارقش وهو الذي سماه العجل وكان شديد الأدمة أتاه ذلك من قبل أخواله آل مظعون»[7].

اما صاحب كتاب الامالي فقد أورد قصته مع سوار القاضي بعد ان شهد عنده بشهادة وانكر القاضي شهادته مدعيا انه كان يعادي السلف فقال السيد يهجوه: (من مجزوء الرمل)

إنّ سوّار بنَ عبد ال
لهِ من شرِّ القُضاةِ

---

(١) لم اعثر على الأبيات في الديوان المطبوع. يقول عنه عبد السلام هارون "لقد استنزف شعره في بني هاشم، وله فيهم اكثر من الفين وثلاثمائة قصيدة، وانما مات ذكره وهجره الناس لسبه الصحابة وبعض امهات المؤمنين وافحاشه في قذفهم فتحاماه الرواة" ظ: هامش كتاب البرصان والعرجان: ١٠٧-١٠٨.

(٢) الحيوان: ١٣٤/٢.

(٣) م. ن.ص، والأبيات في الديوان: ١٧٤-١٧٥، صهاك جده عمر بن الخطاب لأبيه وأبو قحافة والد أبي بكر.

(٤) الحيوان: ٢/ ١٣٤.

(٥) العمدة: ١٧/١.

(٦) البرصان والعرجان: ١٠٧-١٠٨، الجبت الصنم والكاهن والساحر والعدل بالكسر يصف الحمل يكون على احد جانبي البعير، يعنى ان عمر كان عدلا لابي بكر، عتيق هو اسم لابي بكر وهو الذي عناه بالابرش.

(٧) م. ن.ص.

نَعْثلـــــــــيٌّ جَملـــــــــيٌّ
لكـــــمُ غيـــــرُ مـــــوات
جَـــــدُّهُ ســـــارقُ عنـــــزٍ
فجـــــرةً مـــــن فَجـــــرات
لِرســـــول الله والـــــ
قاذفُـــــهُ بـــــالمُنكرات
والـــــذي نـــــادى رســـــول ال
لـــــه خلـــــف الحُجـــــرات
ياهنـــــاةُ اخـــــرج إلينـــــا
إننـــــا أهـــــلُ هنـــــاتِ
فاكفنيـــــهِ لا كفـــــاهُ ال
لـــــهُ شـــــرَّ الطَّارقـــــاتِ[1]

نلاحظ في هذه الأبيات مدى فاعلية هجاء السيد الحميري وتاثيره القوي على المهجو، وربما يعود السبب إلى أن السيد كان يوظف القضايا والأحداث التاريخية والوقائع التي ترتبط بالمهجو لخدمة غرضه الشعري، وذلك من خلال المبالغة في الهجاء واستعمال أسلوب الاستقصاء والسخرية، وقد شجع استقبال المتلقي في ذلك العصر على شيوع مثل هذا النوع من الهجاء الموجع وذلك بتعرية المهجو من القيم والفضائل الروحيّة والمعنوية فقد قسى الشاعر على سوار بتحريضه المنصور على عزله وباتهامه بعدم ميله وإخلاصه للعباسين.

أما صاحب خزانة الأدب فقد رأى أن السيد الحميري أجاد في هجائه لابن ملجم وقد جاء بالأبيات الآتية:

قـــل لابـــن ملجـــم والأقـــدار غالبـــة
هـــدمت ويلـــك للإســـلام أركانـــا
قتلـــت أفـــضل مـــن يمـــشي علـــى قـــدم
وأول النـــاس إســـلاماً إيمانـــا
واعلـــم النـــاس بالإيمـــان ثـــم بمـــا
ســـن الرســـول لنـــا شـــرعا وتبيانـــا[2]

ويبدو ان الناقد استند في معياره إلى قضية التدرج في تفضيل الهجاء، الذي يسلب الصفات المستحسنة التي تختصها النفس ويثبت الصفات المستهجنة، كاللؤم والخسة والبخل والشره والكفر والعصيان، فإعجاب الناقد بهذا الهجاء نابع من صدق الشاعر، فالهجاء عند السيد سلاح يرفعة في وجه أعداء المذهب فعقيدة الشاعر الصادقة، هي السبب في تأثيره ونجاحه في هجاء أعداء المذهب.

(١) الامالي: ٧٦/١، والأبيات في الديوان: ٥٠، مع اختلاف رواية الديوان.
(٢) خزانة الأدب: ١٤٣/٢.

فضلا عن هذا ذكر أبو الفرج الأصفهاني هجاء السيد في قوله عن شعره «ليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم»[3].

ويبدو ان إشارة الناقد هنا تعود إلى تعريض الشاعر بابي بكر وعمر وعثمان، وذهب الدكتور المطلبي الى انه بذلك يقدم لنا نموذجا من ذلك الشعر الذي تحاماه الناس وهجروا حفظه وروايته[4].

لقد كان أبو الفرج الأصفهاني يرى ان السيد يسرف في سب الصحابة والتعريض بالسلف حتى اضطر الى الاعتذار عن ترجمته له في أول الكلام[5].

وذهب السيد الحكيم[6]، الى أن هجاء السيد لا ينم عن خبث في سريرته، وهو يرى أن الرجل صاحب فكرة يعمل جهده على نشرها وتعميمها ويناوئ كل من يختلف معه فيها وهو عمل شريف يحمد عليه كل من يتصف به من الناس مهما كانت فكرته، مادام لم يسق اليه بغير دوافع الإيمان الواقعي، الذي لا تشوبه من الأغراض الدنيئة أي شائبة.

٣- غرض الرثاء:

لم يجد بعض النقاد القدامى فرقا كبيرا بين الرثاء والمديح حتى ان بعضهم ذهب الى أن الفرق يكمن في ان الخطاب يكون للحاضر في المديح وللغائب في الرثاء، يقول ابن رشيق «وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا ان يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود به ميت مثل كان أو«عندما» به كيت وكيت أو ماشاكل هذا ليعلم انه ميت»[7].

الا ان هذا الكلام يحتاج الى إعادة النظر لان الرثاء هو فن من فنون الشعر او خاضع للتنوع ولقبول معاني أخرى متصلة به كوصف الكارثة... وذكر فضائل الميت[8].

ويعد ابن عبد ربه الأندلسي من ابرز النقاد الذين تنبهوا إلى غرض الرثاء عند السيد، فقد أورد نماذج من هذا الرثاء في قوله: «وقال السيد الحميري يرثي على بن أبي طالب كرّم الله وجهه ويذكر يوم صفين: (من البسيط)

إنـــي أديـــنُ بمـــا دان الوصـــيُّ بـــه
وشـــاركتْ كفِّـــه كفِّـــي بـــصفّينا

(٣) الأغاني: ٣٠/٧، تتفق المصادر القديمة على ذكر سببين لضياع شعر السيد هما كثرته، وتحرج الناس من روايته لما فيه من هجاء لبعض الصحابة والتعريض بهم، ينظر: الأغاني ٢/٧، وفوات الوفيات: ٣٣/١.
(٤) ظ: التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول: ٧٣.
(٥) الأغاني: ٣/٧.
(٦) ظ: شاعر العقيدة: ٢٠٣.
(٧) العمدة: ١٤٧/١.
(٨) الرثاء في شعر أبي العلاء نقلا عن الأسلوب/٧٨.

في سفك ما سفكتْ فيها اذ احتضروا
وابـــرز الله للقـــسط الموازينـــا
تلـك الـدماءُ معـاً يـاربُّ فـي عنقـي
ثـم اســقني مثلهـا آمـين آمينـا
آمـين مـن مـثلهم فـي مثـل حـالهم
فـي فتيـة هـاجروا لله ســارينا
ليـسوا يُريـدون غيـرَ الله ربّهـم
نعـمَ المـرادُ توخّـاه المُريـدونا[1]

لعل القضية المهمة في هذا الرثاء تتمثل في حرص الشاعر على إثارة مشاعر المتلقين من خلال رثائه للإمام علي (عليه السلام) ومن ثم حثهم على النقمة من أعدائه، وذلك من خلال الوقوف عند تصوير ظلم أهل البيت، ويبدو أن نجاح الشاعر في تصوير مظلومية أهل البيت دفعت ابن عبد ربه لاختيار هذه الأبيات خاصة وانه شاعر ذواقة، ومما يعزز هذا قول الدكتور طه حسين في شعر السيد «ولعل شيعة العلويين لم يظفروا بشاعر مثله في حياتهم السياسية كلها، وقف عليهم عمره وجهده، وكاد يقف عليهم مدحه ورثاءه، مخلصا في ذلك كله اخلاصا لا يشبهه إخلاص »[2].

فضلا عن هذا روى صاحب العقد الفريد من ان الشيعة كانت تلقي للسيد وسائد في مسجد الكوفة ليجلس عليها تعظيما له[3].

لقد كان رثاء السيد الحميري لأهل البيت من الأسباب التي دعت أنصار السيد من الشيعة إلى الحرص على حفظ أشعاره وقراءتها وخاصة قصيدته الميمية في رثاء الإمام الحسين التي مطلعها: (من الخفيف)

فـي حـرامٍ مـن الـشهور أحلّـت
حرمـة الله والحـرامُ حـرامُ[4]

وقصيدته العينية المشهورة التي مزج المديح فيها بالرثاء ومطلعها: (من السريع)

لام عمـرو بـاللوى مربـع
طاسـمه أعلامـه بلقـع[5]

نلاحظ ان الشاعر التزم في هذه القصيدة البناء الفني القديم وذلك بذكر الأطلال، وهي سمه فنيه تلازم عادة القصائد ذات البناء الفني المكتمل، فضلا عن سمة العاطفة الجياشة والواضحة في رثاء السيد لأهل البيت (عليهم السلام).

(١)لعقد الفريد: ٨٢/٥والأبيات في الديوان: ١٦٠.
(٢) حديث الأربعاء: ٢٤٠/٢.
(٣) العقد الفريد: ١٨٩/١.
(٤) الديوان: ١٥٠.
(٥) الكنى والألقاب: ٣٠٣/٢، والقصيدة في الديوان: ١١٧.

المبحث الثاني:

الطبع والصنعة:

الطبع والطبيعة في الغة الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان[6] ، والصناعة عمل الشيء وإتقانه[7].

ولابد لإبداع الشعر من طبع في الشعر، بمعنى الموهبة، أو الحس الفني الموروث يجبل عليه الإنسان، ومن صناعة بها يتم نظم الشعر وتاليفه فالطبع والصناعة مترابطان ومتداخلان في عملية إبداع الشعر.

وسمي العرب الشعر صناعة لما في نظمه من جهد ومهارة وإتقان وقد روى أن الخليفة عمر قال «خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم»[8]

لقد لاحظ النقاد القدامى ان السيد الحميري استطاع ان يبرز معانيه، ويضعها في صور مؤثرة، بما يضفي عليها من خيال جذاب، بحيث يؤثر شعره في النفوس ويعلق بها، لهذا نجد ابن المعتز في طبقاته يقول عن السيد الحميري انه «كان شاعرا ظريفا حسن النمط مطبوعا جدا محكم الشعر مع ذلك، وكان احذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر، لم يترك لعلي بن ابي طالب عليه السلام فضيلة معروفة الا نقلها الى الشعر»[9]

فالناقد هنا لا يخفي إعجابه بقدرة السيد الحميري في مجال الشعر وإنها قدرة بديهة، أي إن الشاعر لم يجهد نفسه في صياغة الأفكار والروايات والأخبار شعرا فقد كانت تكثر التشبيهات وتتجسم الصور وتتابع الاستعارات القريبة عند السيد من دون اي تكلف[10]

لهذا ارتبطت صفة الطبع عند النقاد القدامى بالقدرة على القول بديهة وارتجالا، في الوقت الذي ارتبط التكلف بعملية من التمهل والتروي في القول، وقد شكلت ظاهرة الإجازة في الموروث الأدبي مظهرا من مظاهر القدرة والبديهة في القول وهي صفة امتاز بها السيد الحميري ومما يدلل على ذلك ان

(٦) اللسان مادة (طبع).
(٧) م. ن، مادة (صنع)
(٨) البيان والتبيين: ١٠١/٢.
(٩) طبقات الشعراء: ٢١٢.
(١٠) يقول السيد محسن الأمين في الأعيان " قد عرفت ان بعضهم جمع له في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة ولم يستوفي شعره فيهم وان له فيهم (عليهم السلام) ألفا ومئتي قصيدة كانت تحفظ ثلاث بنات له كل واحدة أربعمائة بيت منها" أعيان الشيعة: ٤١٨/٣.

صاحب الامالي أورد نموذجا يتعلق بالسيد الحميري وذلك في قوله «حدثنا يموت بن المزرع، ثنا عبد الله بن زكريا، عن أبيه، قال:

قدم السيد الحميري الكوفة، فنزل على أبي دلامة، وانهما على حالهما، اذا أقبلت ابنة لأبي دلامة صبية، فقال أبو دلامة «من الوافر»

فمـــا ولـــدتك مـــريم ام عيـــسى
ولـــم يكفلـــك لقمـــان الحكـــيم

اجز يا أبا هشام، فقال السيّد:

ولكـــن قـــد تـــضمك أم ســـوء
الـــى لباتهـــا وأب لئـــيم»[1]

نلاحظ ان السلوك لحظة الإنشاء يقترن (الطبع) بالارتجال، وسرعة القول، ويقترن (التكلف) بالتروي والتمهل وإطالة الفكر مع بقاء كلّ منهما صفة من صفات الأديب يتضح أثرها في سلوكه[2].

لاشك في ان التكلف مصحوب بإمارة تقابل الارتجال وتلك هي التروي والتمهل في القول، كما ان الارتجال هو نتيجة لنقيض التكلف وذلك هو الطبع، وقد ربط الجاحظ (٢٥٥هـ) بين التكلف والروية والتمهل وبين الطبع والبديهة والارتجال وعلى هذا الأساس عدّ الجاحظ السيد الحميري واحدا من الشعراء المطبوعين جاء هذا في قوله:

«والمطبوعون على الشعر من المولّدين بشار العقيلي، والسيد الحميري وأبو العتاهية، وابن أبي عيينه»[3]

ويتضح من كلام الجاحظ ان صفة الطبع التي أطلقها على مجموعة من الشعراء ومنهم السيد الحميري تقترن عند الأديب بحالة من التلقائية ومواتاة القريحه لحظة الإبداع على حين يقترن التكلف بما يمكن ان يكون توقفا أو ما يسميه بعض الباحثين ب (الكف)[4] ، مما تتضح مظاهره فيما أطلق عليه النقاد أسماء مثل الروية، وإعادة النظر وإجالة الفكر، وهي تسميات مخففة اذا ما قيست بغيرها، مما أطلق على نفس الحالة - كالمعاناة والمكابدة والجهد والكد والمطاولة ورشح الجبين[5].

(١) الامالي: ٢/ ٥٧، والكنى والألقاب: ٣٣٤/٢، وينظر ثمار القلوب فقد اورد صاحب الكتاب رواية يدلل فيها على بديهة السيد الحميري، وينظر الأعلام: ٢٢١/١.والبيت غير موجود في الديوان المطبوع.

(٢) ظ: دراسات في النقد العربي: ١٧٧.

(٣) البيان والتبيين: ٥٠/١.

(٤) ظ: دراسات في النقد العربي: ١٨٢.

(٥) ظ: الشعر والشعراء: ٦٩/١.

ويعزز هذا القول ما ورد عن ابن دريد قال سئل أبو عبيدة من اشعر المولدين؟ قال: السيد وبشار[6].

وكلامهم هذا نابع من اعتقادهم بان خير الكلام ما صدر عن الطبع وبعد عن مظنّة القسر والتكلف، إلا أن هذا لا يعني ان يكون الكلام عفو الخاطر بل هي دعوة الى أن يكون العمل الفني على مستوى من التأثير والنضج والإيحاء وهذا ما امتازت به اغلب قصائد السيد الحميري[7].

المبحث الثالث:

الابتكار والتجديد:

اشتدت الخصومة بين نقاد العرب القدامى حول القدماء والمحدثين: فرأى بعضهم ان الفضل كله قد حازه الأقدمون من الشعراء وان المحدثين ليسوا شيئا الى جانبهم، لا يروون أشعارهم، ولا يستشهدون بما يقرضون وكان على رأس هؤلاء ابو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) وابن الإعرابي (٢٣١) ، قال الأصمعي في حديثه عن أبي عمرو: جلست إليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي[8].

وقال أبو عمرو عن جرير والفرزدق لقد أحسن هذا المولد حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته[9].

وقد فهم النقاد الإبداع على انه «إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع، وان كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ»[10].

أي أن النقاد قد فهموا البديع على انه التعبير الظريف، لهذا كثر الجدال حول قول السيد الحميري:

يـا نفـس لا تمحـضي بـالود جاهـدة
علـــى المـــودة إلا آل ياســـين[11]

فقد ورد في تفسير روح المعاني قوله: «ولعله أخذه من قوله تعالى في سورة الصافات «سلام على آل ياسين» فقد قيل انه يعنى آل محمد صلى الله عليه وسلم ومن الناس من قال: ان

(٦) الأغاني: ٢٥٢/٧، وينظر معالم العلماء: ١٤٧، واعيان الشيعة: ٢٢٣/٥.

(٧) يقول السيد محمد تقي الحكيم "ففي قصيدته العينية التي استأثرت بمكان الصدارة من شعره لدى أهل البيت، وصارت مسرحا لأحلام الكثيرين من أتباعهم، خصّها أكثر من خمسة عشر باحثا بالتأليف في شرحها" شاعر العقيدة: ٤٠.

(٨) العمدة: ٥٧/١.

(٩) م. ن.ص

(١٠) م. ن: ٢٦٥/١.

(١١) البيت في الديوان:

يس اختزال يا سيد خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم ويوهنه نطق القرآن بها بنون»[١].

لقد عاب النقاد القدامى على الشعراء المحدثين تقليدهم القدماء، وان كانوا قد الزموهم السير على خطاهم، الا انّهم يطالبونهم بالجديد دائما، ولذلك فقد حظي الجديد من معانيهم وصورهم بإعجاب النقاد واستحوذ على عقولهم، ومن هؤلاء النقاد الحاتمي (ت٣٨٨هـ) فقد تحدث عن اختراعات الشعراء المولدين ومنهم السيد الحميري وذلك في قوله:

«ومن اختراعات المولدين التي سبق اليها ولم يتبع فيها قول السيد الحميري في على (عليه السلام) :

لكن ابو حسن والله ايَده
قد كان عند اللقا للطَّعن معتادا
إذا رأى معشرا حربا انامهُم
انامة الرّيح في ابياتها عادا»[٢]

يقول الحاتمي عن هذه الأبيات:

«لم يسبق السيد الى هذا المعنى ولم يتبع فيه، فانا ما سمعنا من شبه إنسانا بالريح غيره»[٣].

لقد لاحظ الناقد ان الشاعر قد ابتكر اوجه جديدة للصورة فاخرجها بذلك عن المتعارف وتؤشر تلك النظرات النقدية بدقة الى آفاق جديدة في محيط الصورة الفنية تمثل حالات الابداع المتجدد التي رصدها الناقد بعقله المحلل النافذ الى دقائق الامور، وربما يمثل هذا القول دعوة الى الشعراء للبحث والكشف عن كل ماهو جديد وجميل في محيط التصوير الفني.

ويبدو ان اعجاب الحاتمي سببه الصورة الفنية التي رسمها الشاعر من خلال توظيف فن التشبيه، اذ شبه الشاعر الإمام على (عليه السلام) بالريح القوية التي تفعل فعلها في كل مايقع امامها دون ان تفرق بين قوي اوضعيف، ومن الناقدين من ذهب الى ان هذه الصورة الطريفة مأخوذة من قول عبدالله بن عباس في الحديث الذي يصف فيه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بالجود في كل زمان ومكان وخاصة في شهر رمضان وقول ابن عباس هو:

«كان رسول الله اجود الناس وكان اجود مايكون في شهر رمضان كان كالريح المرسلة»[٤].

اذ علق عليها النويري بقوله:

«فغاية ما فعله السيد انه نقل المعنى من الوصف بالجود الى الوصف بالشجاعة، والا فنفس المعنى في الموضعين تشبيه الانسان بالريح، غير ان السيد اخذ المعنى نثرا، فعقده بالوزن شعرا فله هذه الفضيلة لا فضيلة الاختراع وعلى هذا يكون باب حسن الاتباع احق بهذا الشعر من باب سلامة الاختراع»[٥].

لاشك في ان الفرق بين الأبيات وقول ابن عباس واضح وان ابداع السيد وابتكاره تمثل في قدرته على صياغة المعنى وإظهاره بهذه الصورة التي هو عليها، وان تقديم النقاد له يعود الى قدرته على توظيف فن التشبيه ومن ثم تكوين الصورة الفنية المؤثرة في المتلقي، لقد ارتقى فن التشبيه عند النقاد في ذلك العصر الى مرتبة الغرض الشعري فهو كالمدح والهجاء[٦].

ومن الجدير بالذكر أشار بعض النقاد إلى قضية مهمة تتعلق باصالة الشاعر ومدى قدرته على إبداع المعاني الجديدة واستحداث العلاقات المتميزة، جاء هذا في حديث القاضي الجرجاني عن سرقات الشعراء من السيد الحميري فهو بعد ان يورد أبياتا من الشعر يقول:

«قال آخر:

أرى أناسا ومحصولي على غنم
وذكر جود ومحصولى على الكلم

وقد يزعم بعض من يذهب عن تمييز السّرق ان المصراع الأول مأخوذ من قولهم: فلان بهيمة وحمار ومن قول النمري:

شاء من الناس راتع هامل

ومن قول السيّد:

قد ضيع الله ما جمعت من أدب
بين الحمير وبين الشاء والبقر»

علق عليه القاضي بقوله:

«والجماعة اعتمدت فيه على قول الله عز وجل إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل»[٧]

فإشارة الناقد هنا يفهم منها ان الشعراء استفادوا من ابتكارات السيد الحميري بدليل ان الشاعر المذكور اخذ معنى بيته السابق من قول السيد ألحميري إلا ان الشاعر المتاخر في حاجة للاطلاع على آثار من تقدمه من الشعراء، فالشعر ليس موهبة وحسب وإنما هو أيضا دراسة لآثار السابقين وتمرس بها بغية الإفادة منها[٨].

ومن ثم فان تداول المعاني بين الأجيال المختلفة من الشعراء أمر طبيعي ولكن «لا ينبغي ان يقف هذا التداول عن حد التقليد الأعمى والنقل الحرفي لمعاني القدماء وصيغهم،

(١) روح المعاني: ٢١١/٢٢.
(٢) حلية المحاضرة: ١٣٣/٢. وينظر نظرة الاغريض في نصرة القريض: ١٨٧.
(٣) م.ن.ص.
(٤) تحرير التحبير: ٢١٣.
(٥) م.ن.ص.
(٦) ظ: قواعد الشعر: ٣٧.
(٧) الوساطة: ٣٤٧.والآية ٤٤من سورة الفرقان.
(٨) ظ: العمدة: ١٦٩/١-١٧٠.

وإنما ينبغي ان يتجاوز ذلك إلى إبراز شخصية المتأخر وفكره وخياله: فيما أخذه عن المتقدم من معنى أو صياغة»[١].

اما أسامة ابن المنقذ فقد لاحظ ان السيد الحميري يمتاز بصفة الطرافة والتوليد واللطافة حتى في حياته اليومية جاء هذا في حديثه تحت عنوان (باب التلطيف والتوليد) اذ يقول:

«اعلم ان التلطيف والتوليد هو ان يلفِق كلاما مع كلام اخر فيُولَد من الكلامين كلام ثالث كما روى عن ان المهدي سال السيد الحميري: ماسمك ؟ فقال: انت السيد ياامير المؤمنين، وهذا من الادب اذا كان اسم المسؤول من صفات السائل »[٢].

ولعل منبع الطرافة في هذه الرواية يعود الى استجادة المعنى وحفظه لطرافته في بابه، فهو مبتكر من ناحية ويدخل تحته، وهذا بطبيعة الحال يدلل على نباهة الشاعر وقدرته على تسجيل المعنى الطريف من خلال اجابته المتميزة على سؤال الخليفة مما كان له تاثير في الناقد كون الأدب كل ما يثير فينا بفضل خصائص صياغته انفعالات عاطفية او احساسات جمالية.

المبحث الرابع:

قضايا لغوية:

قام النقاد بدور مهم من خلال ملاحظاتهم النقدية المتعلقة بالجانب اللغوي في الشعر العربي القديم فقد كان التنويه بالتعبير الناجح والوقوف على الاستعمالات الجيدة «وإنارة مواطن الحسن والتقاط القيم النفسية والشعورية التي تنبض بها الألفاظ والتراكيب»[٣] مهمة من مهمات النقد اللغوي، وفيما يلي نتحدث عن ابرز القضايا اللغوية التي أثارها القدامى حول شعر السيد الحميري.

١- الغرابة:

وقد التفت صاحب كتاب الصناعتين إلى ظاهرة الغرابة، اي الغرابة في الألفاظ التي تؤدي إلى غموض المعاني واستغلاقها فقد حدد أبو هلال العسكري هذا المفهوم في قوله: «قيل للسيد: الا تستعمل الغريب في شعرك ؟ فقال: ذاك عي في زماني وتكلف مني لو قلته وقد رزقت طبعا واتساعا في الكلام فانا أقول ما يعرفه الصغير والكبير ولا يحتاج الى تفسير»[٤].

فمفهوم الغريب من هذا القول هو العي، والتكلف والتعمية في اللفظ والمعنى وهي صفة ابتعد عنها السيد الحميري، وحديث الناقد هنا يتعلق بقضية الفظ والمعنى وقد استحوذت هذه القضية في الشعر على اهتمام كثير من النقاد القدامى ولا ننسى ان الإجادة في المعنى أساس الشعر ولذلك قال قدامة بن جعفر «وعلى الشاعر اذا شرع في اي معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة... وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة ان يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك الى النهاية المطلوبة»[٥].

لقد كان النقاد العرب يكرهون الكلمة الحوشية الغريبة كما يكرهون الكلمة العامية المبتذلة[٦].

ومن هنا ابتعد السيد عن مثل هذه الغرابة التي من شانها أن تطمس المعنى وتشينه.

٢- اللحن:

اما صاحب كتاب (نضرة الاغريض) فقد التفت الى مسالة اللحن في الشعر ورأى ان السيد الحميري قد تجنب هذه الظاهرة التي وقع فيها شعراء كبار أمثال الفرزدق فهو بعد ان ينقل أبياتا للفرزدق كان قد لحن فيها معززا كلامه بقول المبرد، يرجع ليستشهد بقول السيد الحميري: (من الطويل)

وان لساني مِقولٌ لا يخونُني
وانّي لما آتى من الأمرِ مُتقنُ
أحوكُ ولا أقوى ولستُ بلاحنٍ
وكم قائلٍ للشعرِ يُقوي ويَلحنُ[٧]

ولعل أهمية هذا الضرب في نقد الشعر هو إننا لا نستطيع ان ننتقد بيتا من الشعر الا اذا أحطنا بمعناه وأدركنا مقصد الشاعر منه، من خلال استعمال الألفاظ الفصيحة المستوفية للشروط[٨]

ومن ثم نستطيع الوصول إلى المعنى بعد أن نعرف معاني المفردات والتراكيب الموجودة في البيت الشعري.

٣- التقديم والتأخير:

فضلا عن هذا تحدث النقاد عن ظاهرة مهمة تتعلق باسلوب الشاعر وطريقته في نظم الشعر تتمثل هذه الظاهرة بقضية التقديم والتأخير، ويعد عبد القاهر الجرجاني من أوائل النقاد القدامى الذين فطنوا إلى هذه المسالة في شعر السيد الحميري، يقول عبد القاهر «واعلم انك ان عمدت الى الفاعل والمفعول فاخرتهما جميعا اليمابعد الا الاختصاص يقع حينئذ

---

(١) الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها: ٢١١.

(٢)

(٣) النقد اللغوي عند العرب: ٢٢.

(٤) كتاب الصناعتين: ٦٧.

(٥) نقد الشعر: ١٧-١٨.

(٦) دعا الجاحظ الى تجنب مثل ذلك اللفظ اذ قال "وكما لا ينبغي ان يكون عاميا وسافطا سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشيا"، البيان والتبيين: ١٤٤/١.

(٧) نظرة الاغريض: ٨٧/١، والأبيات في الديوان: ١٧٠

(٨) تحدث ابن سنان عن الفصاحة ووضع لها شروطا، ينظر سر الفصاحة: ٦٥.

في الذي يلي الا منهما فإذا قلت: ما ضرب إلا عمرو زيدا، كان الاختصاص في الفاعل وكان المعنى انك قلت: ان الضارب عمرو ولا غيره، وان قلت ماضرب الا زيدا عمرو، كان الاختصاص في المعقول وكان المعنى انك قلت ان المضروب زيد لا من سواه.

وحكم المفعولين حكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك... وكذلك الحكم حيث يكون بدل احد المفعولين جار ومجرور كقول السيد الحميري: (من السريع)

لـــو خُيِّـــرَ المنبـــرُ فرســـانَه
مـــا اختـــار الا مـــنكم فارســـا

الاختصاص في منكم دون فارسا، ولو قلت: ما اختار الا فارسا منكم صار الاختصاص في فارسا»[1].

من الجدير بالذكر ان أسلوب السيد في التقديم والتاخير كان يأتي لتحقيق أغراض بلاغية تخدم المعنى الشعري خلاف ما يقع فيه بعض الشعراء ذلك ان «أكثر ما يقع للشعراء من التعقيد مرده الى التقديم والتاخير الذي يضطر اليه الشاعر لحشد الأفكار التي في ذهنه وترتيبها بالفاظ يضيق عنها البيت لخضوعه لوزن معين وقافية معينة»[2].

ان عناية النقاد العرب بهذا المعيار في شعر السيد الحميري يدلل على عناية النقاد بصحة المعنى لان صحة المعنى تعتبر أول ركن من أركان عمود الشعر العربي.

أما القزويني فقد كرر نفس المثال الذي جاء به عبد القاهر الجرجاني معلقا عليه بقوله «ان اصله مااختار فارسا الا منكم - والمراد بصيغته كونه فاعلا او مفعولا او ذا حال او حالا، وعلى هذا القياس وإذا كان النفي متوجها الى ما وضعناه فإذا أوجب منه شيء جاء القصر، ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور»[3].

وحديث القزويني هذا له علاقة بأسلوب الشاعر فقد امتاز أسلوبه بالوضوح وقد تحقق هذا الوضوح في الأسلوب بفعل استعماله لمفردات وتراكيب صحيحه، وكان الناقد يريد القول ان الشاعر على الرغم من التقديم والتاخير إلا أن المعاني واضحة وان هذا التقديم جاء لأجل علّة فالمعنى طريف فقد قصر الشاعر الفروسية على هؤلاء القوم دون سواهم فالمعنى هنا غير مبتذل إنما يحتاج إلى إعمال فكر وتريث في سبيل استخراجه وهنا تكمن قيمة العمل الأدبي وقدرة الشاعر.

(١) دلائل الإعجاز: ٨١

(٢) الفن والصنعة في مذهب أبي تمام: ١٧٤.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢٥، وينظر نهاية الإرب في فنون الادب: ١٠٦، فقد ورد فيه ما يقارب هذا الكلام.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة الممتعة في التراث النقدي العربي التي وقفنا عندها مع آراء النقاد القدامى بشعر السيد الحميري آن لنا الأوان ان نسجل ابرز النتائج التي توصلنا اليها:

١- لاحظ الباحث ان أغراض الشعر عند السيد الحميري قد تنوعت إلا أن غرض المديح كان له الحظ الأوفر من بين هذه الأغراض اذ كثرت وقفات النقاد القدامى امام هذا الغرض، وربما يعود السبب وراء ذلك إلى أن اغلب شعر السيد كان مسخرا لخدمة أهل البيت عليهم السلام فقد كان السيد مشغولا بنشر فضائل أهل البيت وكراماتهم لذا يمكن ان يعد أدب السيد من الأدب الملتزم

٢- كشف البحث عن أهمية الأصالة والابتكار في العمل الأدبي لدى النقاد القدامى، وان هذه السمة كانت معيارا نقديا احتكم اليه النقاد في تقييم شعر السيد، وقد تداخل الحديث عن هذه القضية بقضية السرقات الأدبية، فقد كانت هناك علاقة بين ابتداع المعاني وهذه المشكلة في النقد العربي القديم.

٣- لاحظ الباحث تأثر بعض النقاد بقضية المذهب او معتقد الشاعر وانعكاس ذلك على تقويمهم لشعر السيد الحميري بحسب ميول واعتقاد الناقد.

٤- سجل الباحث حضور المعيار اللغوي في الحكم على النص الأدبي عند السيد الحميري، ويعود السبب في ذلك إلى أهمية اللغة في مجال الشعر، حيث انها هي المادة الأساسية لبنية الشعر، فإذا سلمت هذه المادة من كل عيب، وابتعدت عن كل خطا سلم الشعر وبدا في أحلى صورة.

٥- عزز البحث الرأي القائل ان الذوق يميل إلى الطبع وينفر من الصنعة والتكلف فقد كان هذا المعيار حاضرا عند النقاد القدامى في تقييم شعر السيد، اذ امتاز شعره بأنه كان يصدر عن العاطفة في سهولة ويسر ويتدفق تدفقا تلقائيا من دون ضغط أو إكراه.

* * *

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أخبار السيد الحميري، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق، محمد هادي الاميني، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ط١، ١٩٦٥م.

٢- أسس النقد الأدبي عند العرب، د.احمد احمد بدوي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ط٢، ١٩٦٠م.

٣- الأغاني، لأبي الفرج الاصفهاني (ت٣٥٦هـ) تحقيق: الدكتور يوسف البقاعي، وغريد الشيخ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٤- أعيان الشيعة

٥- الامالي، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الفكر، (د.ت).

٦- الإيضاح في علوم البلاغة، للامام الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط٥، ١٩٨٠م.

٧- البداية والنهاية، الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابي الفداء اسماعيل ابن كثير، بيروت، (د.ت).

٨- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) ، تحقيق: عبد ا. علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

٩- البرصان والعرجان والعميان والحولان، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، (د.ت).

١٠- البيان والتبيين، لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، المؤسسة السعودية بمصر، ط٥، ١٩٨٥م.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار احياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٢- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، لابن ابي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ) ، تحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، لجنة احياء التراث، القاهرة، ١٣٨٣هـ

١٣- التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول، الدكتور محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف، ط١، ١٩٧٣م.

١٤- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لابي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥م.

١٥- حديث الأربعاء، الدكتور طه حسين، دار المعارف، مصر، ط٢، (د. ت).

١٦- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لابي علي محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق: الدكتور جعفر الكتاني، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.

١٧- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٦٨م.

١٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ

١٩- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، الدكتور عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط٢، ١٩٨٤م.

٢٠- دراسات في الأدب الإسلامي والأموي (الشعراء نقادا) ، الدكتور عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٦٨م.

٢١- دراسات في النقد والأدب، الدكتور محمد مصايف، الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٨١م.

٢٢- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١ م.

٢٣- ديوان السيد الحميري، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، ادارة الطباعة المنيرية، القاهرة، (د.ت).

٢٥- سر الفصاحة، للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) ، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، الأزهر، ١٩٦٩م.

٢٦- شاعر العقيدة، محمد تقي الحكيم، دار الحديث للطباعة والنشر والتاليف، ط١، (د.ت).

٢٧- طبقات الشعراء المحدثين، ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) ، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م.

٢٨- العقد الفريد، احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت٣٢٨هـ) ، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٧م.
٢٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني (ت٤٥٤هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.
٣٠- الغدير، الشيخ عبد الحسين احمد الاميني، النجف الاشرف، (د.ت).
٣١- في أصول الأدب، احمد حسن الزيات، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٥م.
٣٢- قواعد الشعر، لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ) مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي، مصر، ١٩٤٨م.
٣٣- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، لابي هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٩م.
٣٤- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ) تحقيق: امين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٣، (د.ت).
٣٥- لسان الميزان وشهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد، ١٢٣١هـ
٣٦- معالم العلماء في فهرست كتب ا لشيعة وأسماء المصنفين منهم قديما وحديثا، الحافظ محمد بن على بن شهرآشوب المازندراني، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦١م.
٣٧- معجم الشعراء، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
٣٨- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة وكامل المهندس، بيروت – لبنان، ١٩٧٩م.
٣٩- نسمة السحر بذكر من تشيع وسحر، الصنعاني، تحقيق: كامل سلمان، دار المؤرخ العربي، ط١، ١٩٩٩م.
٤٠- نصرة الثائر على المثل السائر، الصفدي (ت ٦٤٠ هـ) ، مطبعة بولاق، (د.ت).
٤١- نظرة الاغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي (ت٦٥٦هـ) ، تحقيق: د. نهى عارف الحسن، دمشق، مطبعة طربين، ١٩٧٦م.
٤٢- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، (ت٣٣٧هـ) تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦٣م.
٤٣- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٨م.
٤٤- نهاية الارب في فنون الادب، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (٧٣٣هـ) ، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).
٤٥- الوساطة بين المتنبي وخصومه، على بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.

الرسائل الجامعية:

١- اثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي، احمد شاكر غضيب، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
٢- تلقي غرض المديح في كتب النقد الأدبي العربي القديم حتى (٦٥٦هـ) ، مشكور حنون، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٥م.
٣- الغرض الشعري دراسة نقدية، نادية غازي جبر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٩٤م.

* * *